

المجلة العلمية

لجامعة إقليم سبأ

مجلة علمية نصفية محكّمة

تصدر عن جامعة إقليم سبأ

ISSN :2709-2747 (Online)

ISSN :2709-2739 (Print)

المجلد (9) - العدد (2) - سبتمبر 2026م

Scientific Journal
University of Saba Region
ISSN :2709- 2747 (Online)

المجلة العلمية
لجامعة إقليم سبأ
ISSN :2709- 2739 (Print)

حديث (الأعرابي العاقل) دراسة بلاغية دلالية

The Hadith of the Wise Bedouin: A Rhetorical and Semantic Study

محمد عبده الجحدبي[1]
Mohammed Abduh Al-Jahdabi

تاريخ استلام البحث	تاريخ قبول البحث
2026/5/10م	2026/8/18م

المجلد(9) العدد(2) سبتمبر 2026م
https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.160

(1) أستاذ البلاغة المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة إقليم سبأ، اليمن – مأرب
عنوان المراسلة : aljahdbi@gmail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل بلاغي دلالي لحديث ضمام بن ثعلبة، المعروف بحديث (الأعرابي العاقل). يركز البحث على كيفية توظيف البنية لأسلوب الحواري والتكرار المنهجي، والتدرج المنطقي في بناء اليقين لدى المتلقي (الأعرابي)، وترسيخ أركان الإسلام العملية. باستخدام منهج التحليل البلاغي الدلالي، وتوظيف بعض آليات المنهج الأسلوبي، والبحث يفكك طبقات النص وترابطه التركيبي ليكشف عن الأبعاد البلاغية والدلالية الكامنة وراء الاختيارات اللغوية.

وتخلص الدراسة إلى أن الحديث ليس مجرد تلقي معلومات، بل هو نموذج تعليمي متكامل، يعتمد على المشاركة الفعالة للمتلقي في بناء قناعاته؛ مما يجعله نصاً فريداً ذا كفاءة تواصلية فائقة، تمتاز بالتدرج في الإقناع العقلي، ثم استعمال أسلوب التوكيد عن طريق الاستفهامات الاستيثاقية، ثم الالتزام الشخصي من قبَل الأعرابي وختم بالتعقيب النبوي المبشِّر بدخول الجنة.

وجعل من التكرار في النص أداة لبناء اليقين، بل ومنهجية تعمل على ترسيخ المعلومات وتأكيدها، وتصعيدها إلى مستوى اليقين المطلق –لدى المخاطب– المبني على الاستجابة والالتزام العملي.

الكلمات المفتاحية :

حديث الأعرابي العاقل، دلالية، الصوتي، الصرفي، بلاغية.

Abstract

This study aims to provide a rhetorical and semantic analysis of the hadith of Ḍimām ibn Thaʿlabah, known as the hadith of the Wise Bedouin. The study focuses on how structure is employed in the dialogic style, systematic repetition, and logical progression to build certainty in the recipient (the Bedouin) and to consolidate the practical pillars of Islam. Using a method of rhetorical and semantic analysis and employing certain mechanisms of the stylistic method, the study deconstructs the layers of the text and its syntactic coherence to reveal the rhetorical and semantic dimensions underlying the linguistic choices. The study concludes that the hadith is not merely a transmission of information, but rather an integrated educational model based on the active participation of the recipient in building his own convictions. This makes it a unique text with superior communicative efficiency, characterized by gradual rational persuasion, then the use of emphasis through verification questions, then personal commitment on the part of the Bedouin, and concluding with the Prophetic commentary giving glad tidings of entering Paradise. It also makes repetition in the text a tool for building certainty, and indeed a methodology that works to consolidate and confirm information and elevate it to the level of absolute certainty for the addressee, based on response and practical commitment.

Keywords: Hadith of the Wise Bedouin, Semantics, Phonetic, Morphological, Rhetorical.

Copyright: © 2026 Mohammed Abduh Al-Jahdabi. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of Creative Commons Attribution (CC BY 4.0) license.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين. وبعد:

يحتل حديث ضمام بن ثعلبة مكانة فريدة في السنة النبوية؛ وقد شدّ انتباهي فيه تمهيد الصحابي الراوي له، ووصفه بـ(الأعرابي العاقل)، وكذلك الحوار الذي دار بينه وبين الرسول- عليه الصلاة والسلام- وكيف تدرج هذا الأعرابي الحكيم في استيعاب أركان الإسلام العملية ضمن إطار حواري حيوي، فمعظم الدراسات التي تناولته ركزت على شرح المفردات والشرح الحديثي أو الفقهي أو العقدي، تأتي هذه الدراسة لتسد فجوة في المكتبة البحثية من خلال تقديم قراءة بلاغية دلالية للنص.

مشكلة البحث:

ما المعاني واللطائف الدلالية الصوتية والصرفية التي تفرّد بها كلام النبي- عليه الصلاة والسلام- عن كلام سائر البشر في هذا الحديث؟

ما المعاني البلاغية لحديث الأعرابي العاقل؟ وبمَ تميّز عن غيره؟

هل لحديث النبي- عليه الصلاة والسلام- مزية خاصة في إقناع الآخرين؟ وهل ممكن يُستعمل الحوار والمناقشة للوصول إلى المعرفة اليقينية الذاتية؟

أهداف البحث:

1- التعرف على اللطائف للدلائل الصوتية والصرفية في حديث الأعرابي العاقل.

2- دراسة حديث الأعرابي العاقل دارسة بلاغية دلالية، ومحاولة تذوقه.

3. استخراج ما في الحديث من الأساليب واللطائف البلاغية، وإبراز مدى دلالة ألفاظه صلى الله عليه وسلموتراكيبه.

4- الإفادة بأن التكرار والحوار أسلوب إقناعي، وأنه من أهم أدوات البناء اليقيني.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثاً مستقلاً عن هذا الحديث – بحسب علمي- لكن موجود شرح له وتفصيل في مختلف شروح الحديث، ومن الدراسات الحديثية السابقة رسالة الماجستير (الأحاديث القدسية دراسة بلاغية)، من الجامعة الإسلامية في غزة، وهي دراسة محصورة في الأحاديث القدسية فقط.

وكذلك بحث (البلاغة النبوية في أحاديث السفر) للدكتور/ عويض بن حمود العطوي، حيث اقتصر فيه على مستويات بلاغية ثلاثة لـأحاديث السفر: الكلمة المفردة، والتركيب، والتصوير... وهناك غيرها من الدراسات في الحديث النبوي.

وسبق لي البحث في (الأساليب البلاغية في التهاني النبوية)، تم نشره في مجلة جامعة سيئون مجلد 4 – عدد 1 – يونيو 2023م.

منهجية البحث:

ارتكز الباحث على منهجية التحليل الوصفي لحديث الأعرابي العاقل (وهو ضمام بن ثعلبة).

هيكلة البحث:

الشرح العام للحديث

المبحث الأول: المستوى الدلالي لحديث الأعرابي العاقل.

المبحث الثاني: المستوى البلاغي في حديث الأعرابي العاقل.

حديث الأعرابي العاقل[1]:

عن أنس بن مالك قال: نهينا أن نسأل رسول الله -ﷺ- عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟! قال: «صدق». قال: فمن خلق السماء؟! قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض ؟! قال: «الله». قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟! قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟! قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟! قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟! قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا!! قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟! قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا ؟! قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟! قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا!! قال: «صدق». قال: ثم ولّى.

قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال النبي -ﷺ-: «لئن صدق ليدخلنّ الجنة»[2].

الشرح العام للحديث:

هذا الحديث رواه الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنلاحظ أنه بدأ بالتمهيد عن حال الصحابة، فقد كانوا يتحرّجون من السؤال للنبي صلى الله عليه وسلم لا سيما الأسئلة غير الضرورية، فهم يمتثلون الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}، قال: (فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل)، أي عنده خبرة بكيفية السؤال، والمهم منه، وحسن طرحه، (من أهل البادية) لكونه لم يبلغه النهي عن كثرة السؤال ولأنهم من الأعراب الذين يغلب عليهم الجهل والجفاء[3].

وإنما تمنوه عاقلاً؛ ليكون عارفاً بما يسأل؟ وكيف يسأل؟ ولذا سمّى الباحث عنوان هذا البحث بوصفه عاقلاً، لوصف الصحابي -الراوي- له بهذا الوصف، بل وشهد له عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجاحة

(1) الحديث في صحيح مسلم في (باب السؤال عن أركان الإسلام)؛ وإنما عنون له الباحث بهذا لغلبة وصف الأعرابي بهذا الوصف وشهرته.

(2) صحيح مسلم-ن - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي – بيروت- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – باب: السؤال عن أركان الإسلام – رقم الحديث: (12-10) ص (1/ 41).

(3) انظر: شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى - محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلّوِي - دار المعراج الدولية للنشر [جـ 1 - 5] - دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ 6 - 40] – ط 1 ص (20/ 223).

عقله وحسن منطقه بقوله رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام»[1]، وقال عن رجاحة عقله «صاحب التحرير -رحمه الله تعالى-: هذا من حسن سؤال هذا الرجل، وملاحة سياقته وترتيبه، فإنه سأل أوّلًا عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يَصدُقَه في كونه رسولًا للصانع، ثم لما وقف على رسالته، وعلمها أقسم عليه بحقّ مرسله، وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رَصِين، ثم إن هذه الأيمان جرت للتأكيد، وتقريرِ الأمر؛ لا لافتقاره إليها، كما أقسم الله تعالى على أشياء كثيرة»[2]، انتهى.

وهذا الرجل هو ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، كما يصرح بذلك شراح الحديث[3]، فبدأ الأعرابي هذا بالتأكيد من صدق رسالة النبي - عليه الصلاة والسلام- أنه من الله تعالى، ثم ثنّى بسؤاله عمّن خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال، ثم أقسم عليه أكلامه حقيقة أم ماذا؟ بل وكرّر القسم عدة مرات ليتأكد لديه من صدق رسالته، وأنه حق من عند الله، وقيل إنه قد كان آمن بنبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- لما سمع بمعجزاته؛ وإنما جاء للتأكد وليزداد يقيناً بذلك.

ثم شرع يتأكد من فرضية تلك الأحكام العملية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، يُتبع ذلك بأيمان مغلّظة (فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟)، كل ذلك ليطمئن قلبه وينسكب اليقين فيه حتى لا يكون مجالاً للشك أو الريب، ثم في نهاية الحديث بيّن موقفه من ذلك بأنه سيقتصر على الواجب فحسب، ولن يزيد على ذلك ولن ينقص، فجاء الجواب من صاحب الرسالة بأن ذلك الكلام منه -إن كان صادقاً- موجب للجنة.

(1) فتح الباري لابن حجر - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني - دار المعرفة - بيروت، 1379- رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (1/ 151).

(2) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (20/ 225).

(3) انظر: المرجع السابق- الصفحة نفسها.

المبحث الأول: المستوى الدلالي لحديث الأعرابي العاقل

على مستوى النص الكلي يبدو النص قطعة واحدة متلاحمة مترابطة ومتماسكة، فتارة يترابط بتكرار الجمل المفردة، وتارة بترابط الأساليب وتكاملها، مثل: السؤال، والإجابة، والشرط وجوابه...

كما أن لغة الحديث من أبلغ وأرقى المستويات اللغوية، فالسائل عربي فصيح، والمجيب الرسول عليه الصلاة والسلام أفصح الخلق؛ لذا لا يوجد في النص ما يعيبه لغوياً.

أما من حيث الطبقة الاجتماعية فقد مثّل النص الطبقة العربية الخالصة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والأعرابي الفصيح، وهذه الطبقة الاجتماعية الراقية تجلت في النص وتعبيراته وأسئلته، ولا سيما وقد تم وصف هذا الأعرابي بوصف (العاقل) الذي يمثل طبقة مجتمعية مرتفعة.

ثم إن الحديث تعليمي واضح، ويدل على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم وتواضعه، وإجابته عن كل سؤال دون تضجر، فهو يمثّل المعلّم الحكيم المبلِّغ لما أُوحِيَ إليه بكل صدق وثقة، وهكذا من يعلّم الناس يجب أن يكون.

وأما الأعرابي فهو يمثل المتعلم الذي هو شديد الحرص، والذي يريد أن يصل إلى الحقيقة بنفسه، ولا بد عليه أن يبني قناعاته على أساسٍ منطقي متين.

ويدل الحديث أيضاً على حرص الصحابة لطلب العلم واستغلال الفرص، مع الالتزام بعدم كثرة السؤال الذي لا فائدة منه، وهكذا ينبغي على طالب العلم، فيجب عليه أن يكون كذلك.

والحديث بأكمله يعدّ حقلاً دلالياً لآداب طلب العلم، فقد ذكر العالم والمتعلم، والوسيلة والحوار والمناقشة، والأدب والتواضع من العالم الذي هو رسول الله عليه الصلاة والسلام، رغم خلافه مع المتعلم لكن الرفق مطلوب في كل شيء.

أسلوب الحوار:

الحديث من أوله إلى نهايته قائم على الحوار، فيوجد طرفان هما: السائل (الأعرابي)، والمجيب وهو (النبي عليه الصلاة والسلام)، وهو أسلوب جذاب يشد الانتباه للسامع والمتلقي عمّا سيكون ذلك السؤال، وكيف سيكون الجواب المناسب عليه، وهو أسلوب يسهل الاستيعاب والفهم من قِبَل السامع أو المخاطب، ثم إنه يعكس واقعية الناس في ذلك العصر، حيث كان الحديث هو عن الإيمان بالله رباً، وبه إلهاً، وبنبيه مشرعاً ومبلغاً ذلك الوحي.

والحديث نموذج تعليمي تفاعلي حواري، جعل المتلقي شريكاً في بناء المعرفة من خلال طرح الأسئلة الهادفة، التي من شأنها أن توصله إلى اليقين بنفسه.

ثم إن الجو الحواري – بين الأعرابي وصاحب الرسالة – أكسب الموقف ديناميكية وحركة دؤوبة تدل على المشاعر الصادقة التي يحملها ذلك الأعرابي في بحثه عن الدين الحق، وفي المقابل قوبل بالاهتمام اللازم

والمكافأة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، يتجلى ذلك في تتابع الأسئلة واعتلاء النبرة والتطلع إلى الإجابة بشغف وتلهف، ثم إجاباته عليه الصلاة والسلام الكافية الوافية المقنعة.

وكذلك اتّسم الحديث بأسلوب التكرار، بل أصبحت الصفة الأبرز فيه، من أوله إلى نهايته (زعم، صدق، نَعَم، فبالذي أرسلك...)، وهو ناتج عن ذلك الحوار والتساؤل الذي طغى على سياق الحديث ونصّه، فقد صوّر المشهد خير تصوير، ووضحه خير توضيح – ولعلنا نقف عنده بشيء من التفصيل في المبحث الآتي- إن شاء الله.

أسلوب التدرج المنطقي:

حيث بدأ الأعرابي بالأسئلة العقدية (الأصول)، ثم ثنّى بالأسئلة التشريعية (الفروع)، وهذا ما يؤكد رجاحة عقله ومنطقه، كما مدحه الصحابي الراوي، وكذلك شهادة عمر بن الخطاب له - كما سبق في شرح الحديث- ويمكن تفصيل ذلك التدرج بالمراحل الآتية:

المرحلة الأولى: إثبات مصداقية الادّعاء:

بدأ الأعرابي العاقل بالتساؤل حول مصداقية ما بلغه من رسول رسول الله من أن الله قد أرسله صلى الله عليه وسلم بحق أم لا؟

المرحلة الثانية: إثبات الخالق (توحيد الربوبية):

ثم شرع في الأسئلة الكونية (خلق السماء- خلق الأرض- الجبال)، ليقرر حقيقة ربوبية الخالق سبحانه، وأنه الخالق لهذا الكون، وهذا استدلال عقلي، وهو أن هذه المخلوقات من البديهي أن يكون لها خالق، فمن هو؟ يأتيه الجواب الشافي من صاحب الرسالة: (الله).

المرحلة الثالثة: إثبات الرسالة:

ثم انتقل الأعرابي العاقل من الإيمان بالخالق (الربوبية) إلى الإيمان بالرسالة، بذلك السؤال الذي يحمل يميناً مغلظة: (فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل آلله أرسلك؟)، ليستوثق من هذه الحقيقة حتى يبني عليها ما سيأتي.

المرحلة الرابعة: إثبات التشريع:

ثم يبني على ما سبق الحقيقة التشريعية، وهي الانتقال من الإيمان بالرسالة والتصديق بما جاء به، إلى التسليم بما شرع وبما أنزل، وهي الأركان الإسلامية العملية الخمسة: الصلاة والزكاة والصيام والحج.

المرحلة الخامسة: الالتزام الشخصي:

ثم نصل مع هذا الأعرابي إلى الخاتمة الدرامية بعد أن تحقق في قلبه الشيء الكثير من اليقين الجازم بالخالق وبصدق رسالة صاحب الوحي عليه الصلاة والسلام، فيقول: (والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنتقص منهن)، معلناً بذلك التزامه بالحد الأدنى في التكاليف الشرعية العملية، فهو ليس صدقاً بالقول

فقط، بل صدق بالعمل والتطبيق.

المرحلة السادسة: التعقيب النبوي الختامي:

وفي نهاية الحديث يأتي التعقيب النبوي بمثابة (فصل الخطاب) ونتيجة نهائية للعملية التواصلية بأكملها، بقوله عليه الصلاة والسلام: (لئن صدق ليدخلنّ الجنة)، فهو حكم نهائي بمثابة صك نجاة؛ ولكنه معلّقا بشرط واحد وهو (الصدق)، وهذا ما يؤكد لنا مدى رجاحة ذلك الأعرابي، وأنه عاقل كما وصفه الصحابة بذلك – كما سبق.

أولاً: الدلالة الصوتية:

تكرار المفردات له تأثير في تحقيق التوازن الموسيقي، تحقيق للنغم الذي من شأنه أن يحدث في المتلقي التأثير والاستثارة، يقول د عدنان حسين: «أما الدوافع الفنية للتكرار فإن ثمة إجماعاً على أنه يحقق توازناً موسيقياً، فيصبح النغم أكثر قدرة على استثارة المتلقي والتأثير في نفسه»[1].

ثم إن التكرار والإعادة سنّة بيانية دلالية عند العرب، وجاء بها القرآن الكريم، وكذلك الحديث النبوي الشريف – كما هو هنا– قال السيوطي في مزهره مؤكداً لهذا المعنى: «ومن سنن العرب: التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»[2].

سواء تبيّنت هذه الظاهرة عن طريق الجانب الصوتي من كونها ترديداً صوتياً لما تلقاه السامع من الحروف أو الكلمات مما يكون له أثره في الأذن من جرس وإيقاع، وبالتالي يكون له أثر في النفس ترغيباً وترهيباً وإيماناً ويقيناً.

أو ما يتصل بالجانب المعنوي وهو كونها ترديداً معنوياً لما تلقيه الفكرة من مضمون الكلام مما يكون له الأثر في إثباته بالذاكرة وترسيخه في العقل، أضف إلى ذلك ما ينشأ من تلاقي هذين الجانبين اللذين يخدم كل منهما الآخر في التأثير المنشود من وراء ذلك التعبير[3].

ثم إن من فوائد التكرار – فضلاً عمّا سبق – أنه يعين على الحفظ، ويساعد على الاستذكار؛ لذا يقول الزمخشري: «إنّ في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان»[4].

والتكرار في الحديث النبوي مقصود إليه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأهميته في توصيل مراده، فهو فن

(1) الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، د. عدنان حسين قاسم – الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر – بدون طبعة– 219.

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ت: فؤاد علي منصور – دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1418هـ 1998م (1/ 262).

(3) انظر: من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف، د. فتحية محمود العقدة، 120.

(4) الكشاف - الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت – ط3 - 1407هـ (3/ 334).

بلاغي أصيل، ووسيلة بيانية[1] مقصودة وناجعة.

وأول ما نجد من الألفاظ المكررة في الحديث كلمة (زعم) وقد جاءت هذه المفردة بصيغتي الماضي والمضارع، بصيغة المضارع مرة واحدة، وبصيغة الماضي خمس مرات، ولا شك أن هذا التكرار قد جاء لفائدة وليس عبثاً من الناحية اللفظية، أفاد التكرار لفت الانتباه أما من الناحية المعنوية أو المعنى فأول فائدة هي التأكيد بصورة عامة كما يفيد تكرار الصيغة في الماضي على ثبوت الحدث وتكرره بذاته بدون زيادة أو نقص، ومن الكلمات المكررة أيضاً.

و(زعم) لا تدل هنا على الشك، بل هي بمعنى التصديق: يقول النووي في شرح الحديث: «قوله: زَعَم، وتَزْعُم مع تصديق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إياه، دليل على أن زعم ليس مخصوصًا بالكذب، والقول المشكوك فيه، بل يكون أيضًا في القول المحقق، والصدق الذي لا شك فيه. وقد جاء من هذا كثير في الأحاديث. وعن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «زعم جبريل» كذا. وقد أكثر سيبويه، وهو إمام العربية في كتابه الذي هو إمام كتب العربية من قوله: زعم الخليل، زعم أبو الخطّاب، يريد بذلك القول المحقّق»[2]، فهو من الأعرابي تحرٍّ وتدقيق، ونقلٌ أمين لما سمعه؛ رغبة في التثبت، وليس شكاً في القول.

و(زعم) كلمة ثلاثية مثلها مثل: (قال) وتدل على الماضي، وهي أخف من التعبير بالفعل المضارع الدال على الحال أو الاستقبال (يزعم) أو (يقول).

أما لفظة (صدق)، فقد تكررت سبع مرات تصديقاً من رسول الله لرسوله، وتفيد هذه الكلمة التأكيد، كما لا يمكن إغفال ما لها من تأثير على المصدق وهو رسول الله، فممّا لا شك فيه أن ذلك يعزز من نفسيته كيف لا؟ ومن يصدقه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم!!.

وتكرارها –صدق– إجابة مختصرة وصفة لمن أرسله، وهي كلمة مجهورة واضحة وقوية في إيقاعها، وهي كلمة قصيرة تؤكد ما قاله الرسول السابق ويبني ثقة السائل خطوة بخطوة.

وهي كلمة مليئة بمعاني التصديق الجازم بأنه رسول ونبي موحى إليه من الله تعالى، وأن كلام رسوله لا يمكن أن يكذب، بل هو صادق ورسوله كذلك، ونبرة الحرف الأول وهو حرف الصاد الذي فيه اجتماع للصفير والإطباق والاستعلاء، فهو إخراج للصوت بكل ثقة ويقين، وهو حرف أشبه ما يكون بجرعة يقينية تقرع سمع هذا الأعرابي المتشكك، وتزيل ما به من ريب فيستيقن ويصدق، ثم يأتي حرفا القلقلة والشدة الدال والقاف – بما فيهما من جهر وانفجار وغيرها من صفات القوة[3] – تأكيداً لهذا اليقين والتصديق منه

(1) انظر: التكرار بلاغة – د. إبراهيم محمد الحولي- ط دار الطباعة الحديثة 1933م – ص/ 27.

(2) شرح النووي على مسلم- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط 2، 1392هـ (1/ 170).

(3) ينظر المعجم الوسيط – 1/293، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ت/ إبراهيم مصطفى وآخرون، ط/ دار الدعوة (بدون).

صلى الله عليه وسلم، وجواباً لكل سؤال من هذا الأعرابي، فالأصوات «تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت»[1].

ثم إن حرف الدال فيها (صدق) له صلة وثيقة بمدلول الكلمة، فهو بمثابة قوة يقينية مطلقة؛ لأن صوت الدال تنتابه الكثير من صفات القوة، فهو صوت مجهور شديد متقلقل مصمت، يؤلف صوراً مشحونة باليقين والصرامة غالباً والإيمان بما يعتقده وبصدق ما يقوله رسوله.

والخلاصة أن تكرار هذه الكلمة مثّل بلاغة الإقناع وبناء اليقين في نفس الأعرابي عبر التوكيد المنهجي للحديث من أوله إلى نهايته.

وتكرار (آلله أمرك بهذا)، ومدها من السائل من ناحية صوتية، تدل على عِظَم السؤال وأهمية الجواب، وهذا يؤكد لنا أن الصوت جزء من مادة الكلمة ومن بلاغتها، وأن قوة المَعنى من قوة الصوت، بل وحروف المد خاصة لها معانٍ تقوي من إيحاء الكلمة والصورة في الذهن لا سيما في سياقات معينة[2].

وكذلك جرسها الموسيقي يوحي بقوة التوكيد، وخروج المد من أقصى الحلق (آآآلله)، له دلالة على لهفة لمعرفة حقيقة الآمر لسائر الأحكام العملية وهو الله تعالى، الذي لا ينبغي أن تأتي إلا منه سبحانه.

وتتابع الجمل الاستفهامية ونبراتها المميزة تبّين شدة رغبة الأعرابي في الحصول على الإجابة، وكذلك استفهام الأعرابي: (من خلق الأرض؟ من خلق السماء؟ من نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟)، وهنا نجد النبرة الصوتية الاستفهامية، تعطي للقارئ صورة واضحة من حال السائل.

وتكرار لفظ الجلالة (الله) في الكثير من الإجابات يدل على وحدانيته، ووحدة المرجع.

وتكرار كلمة (نعم) بمثابة جواب مباشر وقاطع وهو يؤكد أن هذه الأوامر إلهية المصدر، وفيها كذلك هدوء وثقة التناغم بين الحروف.

تكرار أداة الاستفهام (مَن) وهي حروف، كما تسمى مائعة الميم شفوي النون لثوي أسناني، فالتكرار للتأكيد عن الفاعل الذي لا فاعل سواه وهو الله تعالى.

- وتكررت بعض الألفاظ والعبارات: (زعم رسولك، أتانا رسولك، وزعم رسولك أن علينا...)، 5 مرات مما أضفى على النص نوعاً من الموسيقى منبعها التكرار.

ويُفهم أيضاً أن هذا التكرار لم يكن عفوياً، وإنما كان خلفه معانٍ ودلالات خفية، فقد أراد الأعرابي العاقل من خلالها أن يوضحها للرسول عليه الصلاة والسلام، وينبهه إلى أهمية ما جاء عن رسوله من القول عن الله تعالى، وتهويل أمر هذا الزعم، وأنه قد بلغ مبلغه من الأهمية الذي من شأنه أن يستحق المثول أمامه -عليه الصلاة والسلام- بهذا الاستيثاق والأيمان الكبيرة، التي من شأنها أن تبعث على اليقين، وإزالة

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات- ابن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط: 1420هـ - 1999م، ص (2/210).
(2) انظر معنى هذا: بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد: 48- دار الفصحى – القاهرة- 1977م.

الشك أو الريب الذي يخالطه.

تكررت كلمة (قال) 27 مرة أضفت على النص جرساً موسيقياً ولّدها تكرار الكلمة، وتكرار ذلك في الحديث دليل عل حرص السائل في تقصيه لكل شيء.

أما الأفعال الأخرى -غير (قال)- فقد سيطرت على النص، وكان ورودها بارزاً؛ فقد كان عددها في النص 43 فعلاً، وهذا ما أضفى على النص نوعاً من الحركة وعدم الثبوت التي تفرضها الأسماء، ومنبع تلك الحركة من تكرار الجمل الفعلية من بداية النص إلى نهايته.

وتكرر لفظ الجلالة خلال النص 10 مرات، وكلمة (صدق) 6 مرات؛ إذ شكّل القرع بحرف الصاد فالدال والقاف وما فيها من قرع للصوت إشعاراً برغبته صلى الله عليه وسلم في وصول مشاعر اليقين في نفس هذا الأعرابي إلى أبعد غاية، وشمولها أفراد الفئة المخاطبة المتشككة، وهو ما يعكسه مادة (صدق) حيث رغبته صلى الله عليه وسلم الملحّة في شيوع اليقين الجازم بصدق رسالته، وصدق رسوله، وصدق فرضية هذه الأركان ركن تلو ركن، وفرض تلو فرض.

وكلمة (نعم) تكررت أربع مرات، وبالتالي شكّلت الكلمتان: (نعم- صدق) وما فيهما من التكرار تناغماً وترابطاً بين أجزاء النص كما أنه ساعد في تمييز النص بنغمة موسيقية ما بين صعود ونزول يجعل القارئ لا يملّ، بل ويستمتع من توالي الكلمات المتشابهة والتي ولّدت في تكرارها نغماً جاذباً للقارئ وللمخاطب.

ثم جاء تكرار القسم في قوله: (فبالذي خلق... فبالذي أرسلك – مرتين-...)، وهو قسم مهيب وعظيم، تكرر بعد كل إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ الأعرابي العاقل منه تأكيداً نهائياً بأن هذا الأمر هو من عند الله لا من عند غيره، وهذا يعكس حرص هذا الأعرابي الشديد على أخذ الدين وتعاليمه من مصدره الأعلى والموثوق.

و(ليدخلنّ الجنة)، تضعيف النون في الفعل تشير إلى توكيد نجاة الرجل السائل ودخوله الجنة إن صدق.

نبرة الصوت (والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن)، تدل شدة تمسك الرجل واقتناعه بما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم.

- أثر الحرف وتكراره في الإيقاع:

حروف الصفير: أبرز ما يميز النص جمالياً وموسيقياً هو تكرار أحرف الصفير وبالأخص حرفي (السين والصاد) فحرف السين تكرر 22 مرة، وحرف الصاد تكرر أحد عشر مرة، وكان لهذا التكرار الأثر الكبير في التحريك الانفعالي للقارئ والمخاطب ووجدانهما، وبعث الانسجام والراحة، وخاصة في كلمة (صدق)، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام كان شديد الحرص على تصديق ذلك الأعرابي وسوقه إلى اليقين.

وهذه الحروف (س – ص)، المهموسة بحركتها وصوتها المهموس إضافة إلى تكرارها داخل النص ساعد في سيطرة الهمس على الحدث ليدل على أن الحوار كان بنغمة واحدة تقريباً، وكان أبعد عن الحروف الجهرية

التي تضفي على النص طابع الشدة الصارمة.

ثانياً: الدلالة الصرفية:

الفعل المبني للمجهول (الذي لم يسمَّ فاعله) (نُهينا)، للإشارة إلى تعظيم الناهي، وهو الله تعالى أو توقيراً لصاحب الوحي وتقديراً – كما مرّ قبل ذلك.

وكثُر الفعل الماضي الثلاثي في الحديث بشكل كبير (جاء – أتى – زعم- صدق- خلق- نصب- أمَر- حجّ – بعث)، وكلها أفعال ماضية مجردة عن الزيادة تخبر عن أحداث وقعت وتساؤلات طُرحتْ، والراوي مجرد قاصٍّ يحكي عنها ويسرد ما حصل.

الفعل المزيد (استطاع) على وزن استفعل، الألف والسين والتاء في بداية الفعل تدل على الطلب، والاستزادة من الشيء، وهذا هو شأن الحج الذي يحتاج إلى التزوّد الكافي عند السفر.

(علينا صوم شهر رمضان) (رمضان)، اسم آخره ألف ونون ممنوع من الصرف، وهو على وزن فعلان، وهو حكاية عن شدة الرمضاء والتعب والتكلف بصوم هذا الشهر الكريم، فـ (هو مشتق من رمض الصائم يرمض، إذا اشتد حر جوفه من شدة العطش. وهو قول الفراء، أو لأنه يحرق الذنوب، من: رمضه الحر يرمضه، إذا أحرقه...)[1].

وأما الأفعال المزيدة بحرف واحد فهي: (أرسل، ولّى، أزيد، أنقص)، أما (أرسل)، فهو رباعي مجرد.

و(ولّى) مزيد بالتضعيف للدلالة على توجهه إلى وجهة قصدها بعد ما وجد بغيته من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وهمزة التعدية واضح وجلي في فعلي: (أزيد – أنقص)، وأصلهما (زاد- نقص)، حكاية ذلك الأعرابي عن نفسه، وإسناد عدم الزيادة وعدم النقص على نفسه، وإلزامه لها بأنه سيقتصر بعبادته على الفرائض فقط.

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية- (18/ 365).

المبحث الثاني: المستوى البلاغي في حديث الأعرابي العاقل

ابتداءً فقد خلا النص من التشبيهات والاستعارات وكثرة الكنايات؛ لأن من يخاطبه أعرابي جاء يبحث عن الحقيقة بأسلوب الاستفهام، الذي بدأه بصورة مستفهم متثبت، ثم بدأ يزداد هذا التثبت رويداً رويداً حتى دخل اليقين إلى قلبه، وقد جاءت إجابات الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفقاً لأسئلة السائل صريحة على وجه بلاغي اتّخذَ من الألفاظ مطية للوصول إلى اليقين وفقاً لمستوى السؤال.

ومع ذلك فقد تجلّت في الحديث الشريف روائع دلالية بلاغية، وعبارات جزلة صَدرتْ من الصحابي الجليل (الراوي)، ومن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى منها:

- براعة الاستهلال (حسن الابتداء):

هذا لون بديعي جذاب، يأسر المخاطب سامعاً كان أم قارئاً، مع حسن السبك وعذوبة اللفظ من هذا الصحابي الجليل (راوي الحديث)، فيمهد لهذا الحديث ويضعنا كسامعين ومتلقيين في جو من التشوّق المعرفي بقوله: (نُهينا)، بمعنى أن الصحابة قد نُهوا عن كثرة السؤال تحرجاً من النبي صلى الله عليه وسلم وهيبة منه، ثم إن الشوق يكمن في أنه من طبيعة الإنسان البشري هو حب الاستطلاع خصوصاً إن كان من العقلاء.

ثم مهّد ذلك بوصفه لهذا الأعرابي ببراعة وحسن ابتداء مرة أخرى بقوله: (الرجل العاقل من أهل البادية)، أشبه ما يكون بمقدمة ونافذة معرفية غرضها أن يتقبل السامع أو المتلقي هذا الخطاب، فهي أسئلة من رجل امتاز بالعقل والحكمة، فأسئلته ليست عبثية، بل فيها من الحكمة والمنطق الشيء الكثير، لا سيما وهي قائمة على منهجي الاستدلال والاستيثاق معاً.

- والكناية حاضرة في هذا الحديث، فقول الصحابي الجليل: (فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل...)، هي كناية بلاغية دقيقة، تشير إلى عِظَم هيبة النبي صلى الله عليه وسلم ووقاره في نفوس الصحابة الكرام. هذه الهيبة المقترنة بالاحترام العميق، كانت تحول دون مبادرتهم بالسؤال المباشر، مما يعكس سمو مكانته النبوية وأثرها النفسي البالغ في أصحابه؛ لذا كانوا يفضلون قدوم الأعرابي الذي قد لا يكون على دراية كاملة بآداب المجلس النبوي؛ ليسأل فيستفيد الجميع من إجابته دون أن يشعر الصحابة بالحرج من طرح أسئلتهم بأنفسهم.

وأيضاً في عبارة الصحابي كناية عن فصاحة أهل البادية التي كانت تحملهم على الجرأة وطرح الأسئلة دائماً دون تردّدٍ أو خجل.

- قوله: (فيسأله ونحن نسمع)، يدل على تكرر الأسئلة وتكرر السائلين، أفاد ذلك: الفعل المضارع (يسأله) الذي يدل بلاغياً على التجدد والحدوث، وكذلك ثبات سماع الصحابة لأسئلة الأعراب، دل على ذلك الجملة الاسمية (نحن نسمع)، وجواب الجملة الاسمية فعل مضارع يدل على استمرار سماعهم لإجابات الرسول صلى الله عليه وسلم على أسئلة السائلين.

– وعبارة الأعرابي (فزعم لنا أنك تزعم) تبرز جانباً دلالياً بلاغياً عميقاً، يعكس منهجاً استيثاقياً في نفس المتلقي، إن استخدام لفظ (زعم) الذي قد يوحي في بعض السياقات بالشك أو عدم اليقين، لم يكن هنا بقصد التكذيب، بل جاء تعبيراً عن رغبة في التثبُّت والاستعلام المباشر من مصدر الرسالة النبوية. هذا التوظيف الدلالي يكشف عن بُعد نفسي لدى الأعرابي يتمثل في حاجاته إلى تأكيد المعلومة من النبي صلى الله عليه وسلم شخصياً، مما يدل على حرصه على اليقين في أمر بالغ الأهمية كالدعوة إلى الإسلام – كما هو في هذا الحديث– وقد جاء تصديق النبي– صلى الله عليه وسلم– له في قوله: (صَدَقَ) ليزيل أيّ لَبس حول دلالة (زعم) في هذا المقام، ويؤكد أن اللفظ يمكن أن يستخدم للدلالة على القول الذي يحتاج إلى إثبات أو تأكيد، لا بالضرورة على الكذب أو الظن الباطل[1].

هذا الموقف يعكس أيضاً حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع اختلاف مستويات الفهم والخطاب، وقبوله للتحقق المباشر من دعوته.

كما يلاحظ أدب الرسول في إجابته بأقصر عبارة بكل ثقة أثرت في نفس المتكلم.

ثم تأتي المرحلة الثانية متمثلة بانتقال سؤال الأعرابي من التثبت بصدق الإرسال إلى الاستفسار عن الخالق لهذا الكون (فمن خلق السماء، فمن نصب هذه الجبال ...)، وبعد أن أيقن من هو الخالق انتقل إلى مرحلة أخرى من الاستفهام أهذا الخالق هو من أمر بما يزعم رسولك، ولا يزال لفظ (زعم) يتكرر إلا أنه بعد أن أيقن من ذلك لأخذ أمر دينه بما تطمئن له نفسه قال –وقد دخل اليقين قلبه–: (والذي بعثك بالحق...)، وهذا تصديق ويقين منه.

– تعبير: (قال صدق)، يدل على ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في من يرسلهم للبلاغ، وفيه إشارة إلى أن ثقته في من يبعثهم إلى القرى للبلاغ لكي يزيد احترامهم من قبل من يرسلون إليهم.

– (من نصب الجبال)، والتعبير بـ الفعل (نصب) في سياق الحديث عن الجبال يُعدّ تعبيراً بلاغياً دقيقاً وموفقاً، يعكس التناسب الدلالي العميق بين اللفظ ومدلوله، بالفعل (نصب) في اللغة العربية يحمل معاني الإقامة، والرفع، والبروز والظهور الشاهق[2]، وهذه الدلالة تتوافق تماماً مع الخصائص الفيزيائية للجبال، التي تتميز بعلوها الشامخ، وثباتها الراسخ، وبروزها الواضح في التضاريس الطبيعية، إن هذا التوظيف اللغوي لا يقتصر على وصف الجبال في الحالة الظاهرية فحسب، بل يتجاوز ذلك ليُشير إلى عظمة الخالق وقدرته في إرساء هذه الكتل الضخمة، جاعلاً منها أوتاداً للأرض، وهو ما يضفي على التعبير بعداً دلالياً وبلاغياً رفيعاً.

(1) انظر: شرح النووي على مسلم – كتاب الإيمان – باب السؤال عن أركان الإيمان – (1/ 170).
(2) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414 هـ (1/ 758).

ثم إن الحديث تتجلّى فيه النكات البلاغية أبرزها الإطناب، فهو حاضر وبقوة في تكرار لفظ (زعم) خمس مرات بعدد أركان الإسلام، التي أراد الأعرابي العاقل أن يستوثق منها من صاحب الوحي، فالتكرار فيه من التأكيد والاستيثاق الشيء الكثير.

والإطناب حاصل أيضاً بتكرار لفظ (صدق) من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تكرر خمس مرات أيضاً بعدد أركان الإسلام، فهو يحمل كل معاني التصديق واليقين الجازم بصدق رسوله، وصدق المصدر الإلهي الممثل له هو بنفسه عليه الصلاة والسلام، فتحقق بذلك عند هذا الأعرابي صدق الرسالة وصحة النبوة.

ثم يأتي الإطناب التكراري من خلال الأسلوب الإنشائي الاستفهامي على شكل موازنة بين جمل رائعة مفصلة، يخاطب بها الأعرابيُ صاحبَ الرسالة بقوله: (فمن خلق السماء؟؟ فمن خلق الأرض؟؟ فمن خلق الجبال)، فبعد أن تحقق له توحيد الربوبية والخلق أخذ في أسلوب إنشائي استفهامي آخر هو: (فبالذي أرسلك...) ثلاث مرات، زيادة في الاستيثاق ومبالغة في التأكيد، ويأتي جمال التكرار في ترديد كلمة الجواب (نعم) أربع مرات ليسكب في قلب ذلك الأعرابي اليقين، ويثبت في نفسه توحيد الربوبية أولاً ليبني على ذلك تكرار لفظ: (فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا)، ليدلّ على صدق تحريه في فرضية الله تعالى لهذه الفرائض المكتوبة.

والاستفهام هنا ليس حقيقياً بمعنى: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل[1]، وإنما هو لغرض التقرير والتوثيق، فهي أمور مهمة جديرة بأن يسمعها مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم ليطمئن قلبه.

ثم إن الإطناب تمثّل في تكرار لفظتي (صدق، نعم)، وهو يسمى بـ (التكرار الختامي) عند د محمد صابر[2]، حيث جاء في نهاية الجمل ونهاية فقرات الحديث ليُمثّلَ قُفلاً تُختم به الجمل ويترك أثراً قوياً في المتلقي[3]، يقول الدكتور محمد عبيد: «يؤدي التكرار الختامي دوراً مقارباً للتكرار الاستهلالي، من حيث المدى التأثيري، الذي يتركه في صميم تشكيل البنية الشعرية للقصيدة، غير أنه ينحو منحى نتجياً في تكثيف دلالي وإيقاعي، يتمركز في خاتمة القصيدة، فإذا ما جاء هذا التكرار في قصيدة ما، فإن العمق التأثيري له يكون أكثر اتساعاً»[4]، وهذا في الشعر أما في الحديث النبوي فهو –لا شك – من بابٍ أولى، فكأن كلمتي (صدق، نعم) بمثابة ختم يوثق المرحلة السابقة ويمهد للاحقة.

ولا يخفى ما لهذا الإطناب التكراري من مساهمة مؤثرة في الجانب الإيقاعي إضافة إلى المعنى البلاغي؛ إذا يقوم التكرار هنا بتعميق الدلالة الإيحائية للفظ المكرر، وهذا بدوره يقوم بتوثيق الترابط بين أجزاء النص

(1) جواهر البلاغة – أحمد الهاشمي (المتوفى: 1362هـ) – ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي – المكتبة العصرية، بيروت (ص: 78).
(2) انظر رسالة: الأسجاع في الحديث النبوي الشريف – صحيح البخاري – وهي رسالة ماجستير لـ أحمد عباس داود – جامعة الموصل – صفر – 1426هـ نيسان– 2005م – (ص: 25).
(3) انظر: البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية – د مدحت حسيني حسيني ليمونة – جامعة الأزهر – ص 86.
(4) انظر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية – د. محمد صابر عبيد – منشورات اتحاد الكتاب العرب – مكتبة الأسد الوطنية ص/ 200.

النبوي الشريف؛ لأن «ترديد الكلمة في نهاية المقطع من حين لآخر، حسب ما تقتضيه الدلالة والحالة الانفعالية، يحدث التماسك من خلال إعادة الإيقاع، ووحدة الجو النفسي، وهو ما يشبه القُفْل في فن الموشحات»[1].

وفي الجهة المقابلة نرى الإيجاز حاضراً في أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق، الله، نعم)، بل قمة الإيجاز؛ وهو يُسمّى عند البلاغيين (إيجاز قصر)، فبدلاً من أن يفصّل في الإجابة ويسترسل يقتصر على هذه الأجوبة المختصرة، وكأنها أجوبة قاطعة وحاسمة للمخاطب، بحيث لا تترك مجالاً للشك أو التأويل، ومن ثمّ هي أجوبة تعكس مدى الثقة المطلقة من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، فهو يتكلم بكلام الواثق من أمره، الذي لا يحتاج إلى كثرة الكلام والإطالة، وهي أجوبة سريعة مباشرة تلبّي غرض ذلك الأعرابي العاقل الباحث عن الحقيقة.

بمعنى آخر ممكن القول: بأن الكفاءة التواصلية عند النبي عليه الصلاة والسلام بهذه المختصرات (نعم – الله – صدق) لا تقاس بطول الكلام، بل بمدى قدرته على تحقيق الهدف بأقصر عبارة وأوضحها، وهذا بمثابة المَثَل الأعلى في الكفاءة اللغوية، والبلاغة الإيجازية الفائقة.

والالتفات موجود في النص؛ حيث ورد من الغَيْبَة إلى الحضور في قوله: (فيسأله ونحن نسمع)، فالهاء للغائب، و (نحن) للمخاطب، والالتفات الآخر: (يعجبنا أن يجيء الرجل) التفات من المتكلم (نحن) إلى الغائب (هو)، و(زعم – تزعم)، التفات من الغيبة إلى المخاطب (أنت)؛ لأنه يخبر عن رسول رسول الله بأنه أخبره، ثم لما يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ومَثُلَ بين يديه لا شك أنه سيتخاطب معه بضمير الخطاب، وهذه الالتفاتات أضفت على النص بعداً جمالياً وأثرى الخطاب وكثّف دلالته.

كما أن الطباق حضرَ في النصّ (ليل/ نهار- السماء/ الأرض)؛ إذ كان له أثر فني في إثارة المعنى وتكثيفه فضلاً عن كونها محسنات معنوية تزيد النص حسنا وجمالاً، واختتم النص بلفظتي طباق (أزيد وأنقص) على لسان ذلك الأعرابي، حيث زاد في المعنى وضوحاً ورسوخاً، ويدل على فهم منه للمطلوب بدقة متناهية.

والجناس من أكثر الفنون البديعية التي انتشرت في كلام العرب، إلا أن الاستعمال في النثر أكثر منه في الشعر – كما هو في هذا النص- وهو ظاهرة تكرارية تقوم على تشابه الكلمتين في اللفظ واختلاف في المعنى، يقول ابن الأثير: « هو أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا»[2]، وورد في النص (رسولك 5 مرات – أرسلك 5 مرات)، وهو جناس اشتقاق جمّل الربط بين الحديث، ونلاحظ أن الأعرابي قد أحسن توظيف هذه الكلمة (رس ل)، وأجاد في الربط بين الدلالة المباشرة للاسم والفعل لها؛ ولأن الموضع موضع تثبّت واستيثاق من صدق رسول رسول الله، ومن صدق رسول الله، وصدق ما بلغ به، فأخذ يكرر ذلك

(1) التكرار وتماسك النص (قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجا) د/ جودة مبروك محمد- مكتبة الآداب- ط:1 – 2002م – ص/ 83.
(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (1/ 241).

من بداية الحديث إلى نهايته، فأحدث هذا الجناس التكراري انسجاماً صوتياً متوازناً، وحقق إثراءً للدلالة وإثارة للذهن، وتحفيزاً للمشاعر؛ لأن الإلحاح الصوتي الناتج عن التكرار لهذه اللفظة يوقع نغماً عذباً يزيد الموسيقى تدفقاً[1]، فـ «الانسجام هو سر الجمال، والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت، من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام، وسر قوته كامن في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ بما يسبغه عليه من الدندنة من جهة أخرى»[2].

- ثم إن النص النبوي قد احتوى على جمل خبرية وجمل إنشائية، وفي هذه الجزئية نتناول كلاً منها على حدة؛ لتبيين مدلولات هذه الجمل بشيء من التفصيل:

أ- الجمل الخبرية:

الحديث فيه الكثير من الجمل الخبرية؛ إذ في بدايته سرد لمناسبة هذا الحديث، فابتدأ بقول الصحابي: (نهينا - فكان يعجبنا - فيسأله ونحن نسمع...).

ومن ذلك (أتانا رسولك) ويعد غرض الخبر هنا لازم الفائدة لكون الرسول يعلم ذلك.

ومن الجمل الخبرية (جاء رجل من البادية)، خبر قُصد منه الفائدة للمخاطب، وهو خبر ابتدائي لأنه لا يحتاج إلى تأكيد بناء على أن المخاطب خالي الذهن من هذه المعلومة.

ثم خُتم الحديث بالحكم النهائي النبوي الخبري بقول: (لئن صدق ليدخلن الجنة)، وبأسلوب التوكيد المؤكد بعدة مؤكدات، حيث أتى بلام التوكيد الموطئة للقسم، ثم اللام الواقعة في جواب القسم، ثم نون التوكيد الثقيلة، كل هذه المؤكدات ليزيل ما بالصحابة من تساؤل وإنكار في كون هذا الأعرابي سيدخل الجنة بمجرد التزامه بالواجبات أم لا؟!، وهذا كله يرفع الوعد النبوي إلى أعلى درجات اليقين، وهو ما يقابل - بحق- اليقين الذي وصل إليه الأعرابي من خلال حواره والأجوبة التي تلقاها من النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ب- الجمل الإنشائية:

وهي كثيرة في الحديث منها:

النداء: (يا محمد) فهو خطاب من الأعرابي للرسول صلى الله عليه وسلم ينبئ عن مدى جلافته وعدم إيمانه بالرسالة ابتداءً.

أما الاستفهامات فيمكن تقسيمها إلى:

-استفهامات ضمنية مثيرة للدهشة والاستغراب:

وتظهر الجمل المتتالية في خطاب الأعرابي: (أتانا رسولك وزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك)، و(وزعم لنا

(1) انظر: البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية ص 106.
(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله المجذوب - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ط1 - 1955م - (2/262).

رسولك... خمس صلوات... علينا زكاة... أن علينا صوم... علينا حج البيت)، كل هذه الجمل تظهر دلالة بلاغية ونفسية واضحة على التعجب والاستغراب، إن تكرار عبارة (زعم لنا أنك تزعم) وما تبعها من جمل تحمل استفهامات ضمنية حول أركان الإسلام، يعكس حالة من الدهشة لدى الأعرابي تجاه هذه التكاليف الجديدة، والذي قد تبدو له عظيمة أو غير مألوفة في حياته الاجتماعية آنذاك.

استفهامات الاستيثاق:

وهي سبعة استفهامات؛ قوله: (من خلق السماء؟.. من خلق الأرض؟.. من نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ فبالذي خلق السماء والأرض و... آلله أرسلك؟ آلله أمرك بهذا؟ آلله أمرك بهذا؟ آلله أمرك بهذا؟)، وكلها استفهامات لغرض التقرير والتوثيق، وليس لطلب العلم بشيء يجهله، فهو قد سمعها من غيره، وإنما يريد التأكد من صحتها مباشرة منه عليه الصلاة والسلام ليطمئن قلبه؛ لذلك كان الجواب لها بـ:(نعم).

وعلى العموم فقد تكررت في النص الأساليب الإنشائية، فقد كان عدد الجمل الاستفهامية ما يقارب 7 جمل، وكلها تستوقف القارئ وتشده ليزيد تركيزه بحثاً عن الإجابة لكمية الاستفهامات التي قد تكون عند القارئ نفسه، فتكون تلك الإجابات شافية لكل من القارئ والمتلقي، وكما سبق في تقديم الحديث أن تلك الأسئلة كانت لدى بعض الصحابة لكنهم نُهو عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت شافية وما حية للشك وموضحة.

وأسلوب إنشائي آخر (غير طلبي) ألا وهو القَسَم، في قوله: (فبالذي خلق السماء... فبالذي أرسلك... والذي بعثك بالحق)، وكلها تفيد ترابط النص وتلاحمه، ولقد أدى وظيفة بلاغية مهمة، وهي تعظيم أمر القسم، وأمر المقسم به، وإضفاء جلالة الله عليه، الذي من شأنه أنه قد أرسل نبيه، وقد بعثه بالحق، وهنا تبرز الوظيفة الإقناعية للمخاطب، حيث أصبح القسم ليس مجرد تأكيد فحسب، بل هو استحضار للسلطة العلية وهو الله تعالى، فالأعرابي هنا في كل قسم يربط التكليف العبادي مباشرة بمصدره الإلهي الأعلى، متجاوزاً الوسيط (النبي صلى الله عليه وسلم)؛ ليأخذ العهد من المصدر مباشرة، وهذا هو جوهر بناء اليقين الذي بناه صاحب الرسالة في نفس هذا الأعرابي.

أما التقديم والتأخير فقد ورد في الحديث في مواضع منها:

جاء التقديم في تساؤل الأعرابي أولاً بالجملة الاسمية: (آلله أرسلك؟)، عن طريق استفهام بدلاً من القول: أأرسلك الله؟ وقد خرج هذا التساؤل بعد يقينه أنه مرسل لكن كان التساؤل عمّن أرسله أهو الله تعالى أم لا؟ وتقديم الفاعل في هذا التساؤل يحمل في طيّاته قوة الردع والشدة والزجر من هذا الأعرابي الجافي لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، فهو بمثابة أيمانٍ مغلظة لمعرفة حقيقة ذلك.

ثم بعد أن يتأكد من كونه مرسل من الله تكررت ثلاث عبارات بنفس التساؤل لكن عند العبادات

العملية: آللهُ أمرك بهذا؟ أي: أأمرك الله بهذا؟ فقدم الفاعل أيضاً لما فيه من التأكيد من كون هذه الأحكام العملية هي من عند الله أم لا؟

ونلحظ التقديم للجملة الخبرية في ثلاث مواطن: (أن علينا خمس صلوات، أن علينا زكاة، أن علينا صوم، أن علينا حج البيت)، وكلها تساؤلات عن حقيقة تلك الأحكام، أهي مفروضة علينا نحن، أم على غيرنا من الأمم أم ماذا؟ وهذا التقديم فيه من الاختصاص والتوكيد وتقوية الحكم الشيء الكثير، بمعنى هل هذه الأحكام نحن مختصون ومكلفون بها أم لا؟ حتى يبني على ذلك التصور الذهني والحكم النهائي تجاهها امتثالاً وعملاً.

المجلد(9) العدد(2) سبتمبر 2026م
https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.160

الخاتمة ونتائج البحث:

من خلال البحث يخلص الباحث إلى عدة نتائج:

1. لم يكن وصف الصحابي الراوي للأعرابي بـ (العاقل) من فراغ، بل كان موفقاً في وصفه بهذا الوصف، فهو صاحب حكمة ودراية؛ تُرجِمت من خلال أسئلته وتدرجه المنطقي فيها.

2. الحديث مثّل النموذج التعليمي التفاعلي، القائم على الحوار؛ إذ التعليم لا يعتمد على التلقين فحسب، بل على الحوار التفاعلي الذي يجعل المتعلم شريكاً في بناء المعرفة والوصول إلى اليقين بنفسه.

3. التكرار في النص تحوّل إلى أداة لبناء اليقين، وليس مجرد محسن لفظي بديعي أو إطناب تأكيدي، بل هو آلية منهجية، تعمل على ترسيخ المعلومة وتأكيدها وتصعيدها من مستوى الظن إلى اليقين المطلق، وهذا ما حدث للأعرابي مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

4. المنطق والبناء على الأمور المسّلمة البديهية هو أساس الإقناع، الإقناع –هنا – في الخطاب النبوي لم يكن يعتمد على السلطة القهرية، بل على حجة منطقية متدرجة، تبدأ بالمسلّمات العقلية (وجود الخالق)، ثم الإيمان بقدرته – سبحانه– على الخلق والإبداع، ومن ثمّ تنتهي بالالتزامات التعبدية (الأحكام العملية) من قِبَل هذا الأعرابي العاقل.

5. أظهرت أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم الموجزة (صدق، نعم) أن الكفاءة التواصلية لا تقاس بطول الكلام، بل بقدرته على تحقيق الهدف بأقصر عبارة وأوضحها، وهذا مثّل كفاءة لغوية وبلاغة إيجازية فائقة.

المصادر والمراجع:

1.النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي – بيروت - ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

2.المجتبى، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى- شرح سنن النسائي - محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي - دار المعراج الدولية - دار آل بروم للنشر والتوزيع.

3.ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 1379هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت- رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن باز.

4.لسان العرب: محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) - دار صادر – بيروت - ط: الثالثة - 1414هـ.

5.عدنان، د. عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي– الدار العربية للنشر، والتوزيع، مصر - بدون طبعة.

6.السيوطي، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور - دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ 1998م.

7.العقدة، د. فتحية محمود العقدة، من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف.

8.الكشاف - الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت - ط3 - 1407هـ.

9.الحولي، د. إبراهيم محمد الحولي- التكرار بلاغة – ط دار الطباعة الحديثة 1933م.

01. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، شرح النووي على مسلم- دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 2، 1392هـ.

11. إبراهيم، ت/ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط – 293/1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط/ دار الدعوة (بدون).

21. ابن جني، ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط: 1420هـ - 1999م.

13.عشري زايد، د. علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 1977م.

41. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

15.الهاشمي، أحمد الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، جواهر البلاغة - ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي

- المكتبة العصرية، بيروت.

16.داود، أحمد عباس داود، الأسجاع في الحديث النبوي الشريف - صحيح البخاري – وهي رسالة ماجستير - جامعة الموصل - صفر- 1426هـ نيسان- 2005م.

17.حسيني ليمونة، د مدحت حسيني حسيني ليمونة، البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية – جامعة الأزهر.

18.صابر، د. محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية– منشورات اتحاد الكتاب العرب – مكتبة الأسد الوطنية.

19.جودة، د/ جودة مبروك محمد- التكرار وتماسك النص (قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجا)، مكتبة الآداب- ط:1 – 2002م.

02. ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير (المتوفى: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت- 1420هـ.

21.المجذوب، عبد الله المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة مصطفى الحلبي – مصر، ط1، 1955م.



Scientific Journal

of University of Saba Region

A Biannual Refereed Scientific Journal Issued by University of Saba Region

ISSN :2709-2747 (Online)

ISSN :2709-2739 (Print)

Volume 9, Issue 2, September , 2026